

مكاتبات لم تصل..

ماذا تقول رسائل الفلسطينيين لأحبابهم أيام النكبة؟

- . . .
- • •
- . . .



الذاكرة والتاريخ

مكاتبات لم تصل.. ماذا تقول رسائل الفلسطينيين لأحبابهم أيام النكبة؟





"وقد أرسلت روحي في كتابي ولو أنى استطعت لكنت كلى"

كانت الكتابة إذاً تعويضاً عن العجز في الحضور المادي المباشر، ووجدت المكاتبات واعتـــــني بها وبكتابها عبر الزمن الممتد، ومن أبرز المكاتبات، مكاتبات الحرب التي حضرت مصــــدراً للكتابـــة التاريخية، تضاعفت قيمتها مع الزمن، خصوصاً إثر الحرب العالمية الأولى فالثانيـــــــة. إذ تحولت المكاتبات إلى مصدر كاشف للحرب وخفاياها، بعد أن لم يعد يذ ُظر لمكاتبات الحــــرب مصـــدراً لتفاصيل المعارك وجبهات القتال، أو الجبهات الخلفية، فحسب، وإنما نظر أيضاً إلــــى ما لم تقله هذه المكاتبات، خصوصاً في جوانبها النفسية والاجتماعية.

لكن، ستتجاوز هذه القصاصة المكاتبات بوصفها مصدراً، إذ إن المكاتبات الآتية لم تبق مكاتبـــات عادية، وإنما تحولت لشاهد على حضور سابق.

اشتعلت حرب فلسطين الكبرى بين كانون الأول/ ديسمبر 1947- ونيسان/ أبريل 1949، وكما صار معلوماً، فقد َ أمل فلسطين خلال هذه الحرب جل ّ أرضهم، وحفظ الرصاص بقيتها. انطلقــــت المرحلة الأولى من هذه الحرب مع الاشتباكات الأولى التالية لإعــــــلان مشروع الأمم المتحدة لتقسيم فلسطين. وتصدر أمل فلسطين المواجمة في مذه المرحلة، سواء بتشكيلاتهم العسكريـــة المحلية، أو بالتشكيلات العسكرية الملحقة باللجنة العسكريـــة العربية العليا، الميئة ِ المسؤولة عن إدارة المعركة آنذاك. وخُتمت هذه المرحلة مــــن الحرب بسقوط جل المدن المركزية بيد العصابات الصميونية، بعد معارك امتدت في معظم جبمات القتال لشهور، وكان احتلال جــل ِ هذه المدن مفاحئاً.

لم تسقط البلاد وتطمر من أهلها فقط، وإنما سقطت أيضاً نصوص ووثائــــق، كان منها بعض المكاتبات، التي حفظتها بيوت أصحابها، أو صناديق البريد الذي لم يبرح المدينة. "طهرت" البيــوت من مقتنياتها، وتعدد مصائر المنهوبات، فحل بعضها في أراشيــــف المؤسسات الاستعمارية الصهيونية. كان منها هذه المكاتبات التي يمكن أن يقرأ المؤرخ لحرب فلسطيـــــن الكبرى في ثناياها الكثير، وعلى مستويات مختلفة، لكن سيقتصر هنا على إثبات ثلاثـــــة نماذج من هذه المكاتبات أيام قليلة من معركتها الأخيرة، وثانية وثالثة كتبتا فــي المكاتبات، واحدة كتبت في حيفا قبل أيام قليلة من معركتها الأخيرة، وثانية وثالثة كتبتا فــي أيار/ مايو 1948 في اللد قبل أسابيع قليلة من سقوطها. ومن الجلي أن هذه المكاتبات التي خطت في مجملها لترسل خارج فلسطين لم تصل لأصحابها، ولعلها تصل ولو بعد حين.

أخبارنا من أخبار البلاد

خطت المكاتبة الأولى من محسن فواز، أحد العاملين في معسكر عتليــــــــت -الذي صار سجناً صميونياً -، إلى قاسم زمدي أبو محمد، يوم 18 نيسان/ أبريل 1948. حفظــــــت هذه المكاتبة تفاصيل عن الأخبار المتداولة بين الناس آنذاك، أمكن من خلالها إدراك الأثر النفسي الكبير لبعــض الحوادث، كاستشماد عبد القادر الحسيني ومذبحة دير ياسين. ورغم أن الكثيـــــر من التفاصيل المثبتة في المكاتبة لم تكن إلا إشاعات مثل بعض وسائل الإعلام، إلا أن الرسالة تعكـــس طفيان العام على الشخصي، ومنا نصما الكامل:

حيفا 18 نيسان لسنة 1948 لحضرة العم الفاضل السيد أبو محمد قاسم زهدى المحترم

أكتب إليكم هذه الرسالة لأجل أن أعطيكم قليلاً من أخباري وآخذ قليــــــلاً من أخباركم، هذا الذي أريده والسلام، أما من جهة أخبارنا طبعاً في الوقت الحاضر فا إنها [فإنها] خطرة جداً في فلسطين.وفي هُذه الرسالة أسطر إلى خُضرتكم فاجعة وقعت في قرية عربية وقد فقد 250 ضحية معظمهـــــا من النساء والأطفال، فتك بها الجناة اليهود في مذبحة الأبرياء بقرية "دير ياسين" وهـــــــا أخبركم تفاصيل الحادثة:

إن هذه القرية تقع في الغرب من القدس تبدر عنها ستة كيلو متر تقريباً، وجميع جيرانها مستعمرات يهودية وإن هذه القرية كان بين سكانهــــا وبين اليهود، اتفاق على عدم الاعتداء، لقد انقض اليهود الثام على القرية واعملــوا في أهلها التقتيل والذبح ولم ينج منها إلا الشباب اللذين [الذين] استعملوا جميع الوسائـــل المقاومة، وقد ذبح من القرية 250 نفساً بجميع أنواع الأسلحة والقنابـــــل. ثم جمع اليهود 150 امرأة وأطفال [طفلًا] وأركبوهم في سيارات شحن وطافـــوا بهم الأحياء اليهودية في القدس، وكان اليهود يبحقون عليهم ويرجمونهــم بالحجارة ويضربونهم حتى أوطلوهم إلى أطراف الأحياء العربية وما كادوا يحلون إلى هناك حتى أطلق اليهود رصاص البنادق الرشاشة فوق رؤوسهم إرهاباً. ومــن الشئون الاجتماعية.

إن جميع اللذين [الذين] قتلوا قد وضعوهم في بئر عميق، إن 25 امرأة حاملاً و50 امرأة مرضعة، و60 امرأة أو فتاة قد ذبحن ذبح النعاج. وقد كانت هذه الجريمـــة أفظع جريمة وقعت من حين ما قامت هذه الثورة إلى حد الآن، وإن الرؤساء قـــد أرسلوا برقيات إلى جلالة ملك [الملك] عبد الله والملوك والرؤســـــــاء والعالم الإسلامي والمسيحي، هذه أخبار فاجعة (دير ياسين العربية).

إن القوات العربية في ثاني الأيام قد ربطت على طريق نابلس وقد مرت قافلـــــة سيارات يمودية مؤلفة من 15 سيارة ترافقها خمسة سيارات ومصفحة وقضـت على جميع ركابها وتمكنت قوات التحرير من إصابة الطائـــــرة فموت في وسط المعركة والنيران تشتعل وقتل جميع ركابها، وإن العرب محاصــــرة مستعمرة يمودية في جمات الجليل وإنشاء [إن شاء] الله ستقضى عليهم.

أخبار جمات غزة

فريق كبير من المناضلين يطلق الرصاص بكثرة لحماية إخوانهم الفدائية الذيــــن دخلوا المستعمرة بقلوب لا تهاب الموت وقد وضعوا الألفــــام في المستعمرة وقد تهدوا [هد ّوا] العمارات على رؤوس أصحابها اللذين [الذين] دفنوا تحتها.

خطاب القائد فوزي بك القاوقجي يؤبن القائد عبد القادر الحسيني

أخبار معركة القسطل بجوار القدس

إن العرب أخيراً قد استولت على جميع جبال (القسطل) وإن اليهود قد قتل منهم 174 نفساً وقد كسبت منهم مكاسب كثيرة. ُ

هذه أخبار فلسطين في يومين فقط أخبرتكم بها وإن الساعة خطرة جـــــداً جداً ومن جهتي فإنني أحمد الله وأثنيه، صحتي جيدة جدًا، وبعدني [ما زلت] متوظــف في معسكر (عتليت) ولكن المصروف غالي جدًا ويفرجها الله تعالى.

عمنا قاسم

لا يمكنني إرسال دراهم مع أولاد البلد لسبب كثرة الحوادث على الطرق. أمدي سلامي إلى والدي له ألف سلام، أهدي سلامي إلى الأخ موسى العبد وإلــــــى عمه محمد العبد، وإلى عمنا الحاج عبد الحميد والإخـــــــوان: محمد سعيد، أحمد الحسين، سليمان الخطاب، حسان السالم، وحمد الحسن الشوفي، ولسيد فرح، وإلى عموم من يسأل عنا له ألف سلام، ودمتم.

الداعي لكم مخدومكم محسن فواز يصل ويحظى لمطالع العم الفاضل أبو محمد قاسم زمدى المحـــترم

من دولة اللد

> اللد 26/5/48 م حضرة السيد علي أفندي الهنيدي المحترم كــتب إليك من شوقي كتاباً جعلت مداده ساقي فــؤادي وقد أرسلت روحي في كتابي ولو أنى استطعت لكنت كلى

فاتخذ كتابنا إليك كثرة [لكثرة] شوقنا، وشدة وجدنا وميامنا، وإهدائك خالـــص سلامنا الذي ينبعث من قلب يتلم ّف بنار الشوق لرؤيتك.

لقد وطلنا سلامك لنا ونحن في أشد الحاجة إليه لشدة شوقنا إليك، فأتانا "محمد" بهذا السلام فقمنا جميعاً نسأله من الصذي أخبره ذلك، فعلمنا أن خالد وخميس قد أخبراه وذلك إن الحالة في مدينة اللد هادئة نسبياً، ولكنها في الرملة متوترة جداً والنجدات تتقاطر عليها من كسل صوب لحمايتها. إن جميع المراكز الآن تحت حماية اللد مثل الهلمون والمحطة والمطار، كل منهم بهم رجال من أهالي اللحلحمايتهم.

لقد أتى سليمان منذ أيام بفتاتين وشابين من اليهود أسرى، وما خرجوا من اللد إلا بعد أن أخرج اليهود من عندهم أولاد أبو حطب من اللد.

لقد أتى على اللد جنسيــــن [جنسان] من العربان بقيادة السيد مثقال باشا الفايز، إنهم يحسنون إطلاق النار جيد ًا، وإنهم يأخذون كل ما تستطيع يدهم أخذه من اليهود، ولا يرهبون الموت أبد ًا، ولا غدر اليهود، فواحد منهم قتل أخاه ليقــتل اليهودى الذى قابض عليه.

[.....]

إن جميع الأماكن في اللد ملأى بالسكان، حتى امتلأت الأماكن والمقرات ومراكـــز البوليس وأصبحت الناس تنام في الطرقات. إن جميع من عندنا يهدونك السلام ويرجون لك التوفيق، فوالدتك تقبـل وجناتك عن بعد وكذلك خالتك وخالك ونسوان خوالك [أخوالك] وإخوانك وجميع الأقــارب والأهل والأصدقاء يقدمون لك أحر "سلامهم. هل رأيت أحدًا من دار عبده فــــي عمان.

سلام وإهداء السلام من البعد دليل على حفظ المودة والعمـد

وفي الختام نطلب لك الصحة والعافية وطيب المقام ونهديك أحر السلام ونطلب من الله أن نراك عن قريب، إنه سميع مجيب، ودمت لوالدك المحب

صادق منيدي

المكاتبة الثانية:

أخى العزيز

بعد السلام والسؤال على صحتكم الغالية، التي أرجو أن تكون على مـــــــا يرام، اطمئنك على صحتنا، فنحن جميعًا في صحة جيدة لا ينقصنا سوى رؤية محيــاك لا حرمنا الله من رؤيته.

أخي إن مدينة الله [اللد] في أمان من اعتداء اليهود عليها، لهول القوة التي فيها فإن اليهود عندما يريدون غزو اللد لا يستطيعون أن يصلوا إليها رأساً، ويشتبكوا [يشتبكون] مع حرسها الداخلي، بل إن معارك طاحنة تستعر أوارها على بعد ثـلاث كيلو مترات من اللد نفسها تحول دون وصول اليهود، كمـــــا تكون المدفعية اللدية الثقيلة من عيار 6 بوصات والتي تتكون من 8 مدافع تقذف بحممها علــــى رؤوسهم فتحصدهم حصداً، فلا يكون بالك مشغول من جهتنا ما دمــــنا في حمايتهم. وأود أن اخبرك أن مدينة الله [اللد] أعادت صيتها القديم، وزادت عليـــه أضعافاً، فهي وحدها التي بقيت في هذا اللواء صامدة أمام اليهود،ولم يرحــــل من سكانها أحد، بل لجأ لها عائلات كثيرة جداً مــــــن يافا والرملة وجميع اللواء،

ومي وحدما التي تصد المجوم عن مدينة الرملة وعن جميع قضائما وعن المطار والمحطة وعدة معسكرات، ومما زاد هيبتما أنما مي وحدما التي تتقدم هـــذه المممات دون اشتراك المتطوعين أو الجيوش العربية التي لم تصل إليما بعد.

أخى العزيز،

إن جميــــع الأصدقاء في أحسن الأحوال، وجميعهم يتمنون لك النجاح والصحة. وختاماً أتمنى لك كل توفيق ونجاح، وأخير ًا إبلاغ سلامي إلى جميع الأصدقــــاء والسلام.

باسم حسن منيدي وفي الختام، لعل السلام وصل!